شعر الحنين بين التقليد والتجديد

المدرس المساعد : رواء جواد ابراهيم
raw86jawaj@uomustansiriyah.edu.iq

شعر الحنين في بلاد المشرق

يتميز شعر الحنين بطابع خاص لما له من خاصية تنبع من قلب الشاعر المغترب البعيد عن الأرض والأهل فمنذ العصر الجاهلي والشاعر يعاني من قساوة البيئة الصحراوية وصعوبة العيش مما كان يضطره إلى التنقل والترحال من مكان لآخر بحثاً عن سُبل العيش، إلا أن هذا لم يمنعه من الإحساس بالغربة، والحنين والشوق إلى مرتع الصبا والشباب بوقوفه على الأطلال وذكر الديار، وهذا ما يؤكد الجاحظ بقوله: من علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة، ويدور شعر الحنين في العصر الجاهلي حول الرحلة من مكان لآخر" فالحنين إلى الطلل يمثل الحنين للوطن؛ لأن الطلل وما يحيط به وما يتناثر حوله من الدمن يمثل مجموعة الذكريات التي عاشت في ذهنه، فحفظ لها أجمل الأوقات واسعد الأيام، وجسد شعر الصعاليك معنى الحنين والشوق والغربة في أشعارهم لما عانوه من طول الفراق التشرد في الصحاري الجرداء بعيداً عن الأهل والأحبة؛ إذ كانوا نتيجة لخروجهم على الأعراف والتقاليد القبلية، أو ربما لتساطها، مما دفع القبيلة لعزلهم، وتعد هذه الغربة اشد أنواع الاغتراب التي يعانيها الشاعر في بوادي الصحراء. ولم يختلف شعر الحنين في العصر الأموي ف عوامل الحنين والغربة بقيت في مجملها شبيهة بالعصر الجاهلي، مع ازدياد أسباب الغربة فبقي النزوح عن الأوطان والرحيل في طلب الرزق، والهروب من ظلم الولاة وقسوتهم...بالإضافة إلى الحروب التي كثرت إما بسبب الفتوح، أو الحروب الداخلية في الصراع على الخلافة. أما في العصر العباسي فقد قلت وطأة هذا اللون من الشعر قياساً بما كان علية في العصرين الجاهلي والأموي، ويرجع ذلك لأسباب منها الاستقرار والازدهار الذي عاشه المجتمع آنذاك، بعيداً عن البداوة وصحراءها.

شعر الحنين في الأندلس:

كان لدخول العرب بلاد الأندلس فاتحين آثره على نفوسهم، وذلك لبعدهم عن الأوطان، وشعورهم بالحنين والغربة في تلك البلاد، فلم تسحرهم طبيعتها الخلابة وجمالها الأخاذ، لا سيما الشعراء منهم والمفكرين والأمراء كعبد الرحمن الداخل، فانعكس ذلك على أشعارهم بالنزوع إلى الأصالة المشرقية، وتمثل ذلك أيضاً في عهود العرب الأولى في الأندلس. ويرى د. عبد العزيز عتيق أن "كان المشارقة لهم فضل السبق إلى شعر الحنين فإن الأندلسيين قد لحقوا بهم، وتقدموا عليهم في هذا الفن، وفاقوهم فيه كماً وكيفاً" فكان لطبيعة الحياة السياسية في الأندلس أثرها في نمو وانتشار هذا اللون واتساعه بعيداً عن لذه الحياة وترفها؛ فسقوط معظم المدن الأندلسية بيد الإسبان يعد سبباً من أسباب الغربة التي عاشها الأندلسيون، بالهجرة من الديار نحو بلاد المشرق أو النزوح إلى أرض المغرب، فكانت تجربة الغربة شديدة الأثر في نفوسهم "وليس

كالاغتراب شيء يزيد من حنين الإنسان إلى وطنه، وتعلقه به وهذا ما حدث لهؤلاء الأندلسيين، سواء أكان اغترابهم بالانتقال من الغرب إلى الشرق، أم بالانتقال لسبب أو لآخر من مدينة إلى مدينة بالأندلس.

فلازم الشاعر الأندلسي الإحساس بالحزن والغربة والحنين إلى الديار وهو ينتقل من مدينة إلى أخرى في داخل الأندلس، فيسجد بذلك مدى حبه وتعلقه و انتماءه العاطفي إلى مدينته، ويعد ابن سعيد من أكثر من نظم بهذا الاتجاه كقصيدته التي نظمها بمرسية وهو يحن إلى أشبيلية. يتجلى الشعور بالغربة والحنين إلى الأرض والأهل والأحبة بعدة أسباب منها ما حدده د. منجد مصطفى بالقول: "الرحلة في طلب العلم...ومنها الرحلة عن الوطن بسبب الحروب والفتن الداخلية التي حلت بمدن الأندلس، و أبرز هذه الفتن التي انعكست آثارها في الشعر الأندلسي، الفتنة القرطبية، على نحو ما تعكسه أبيات أبي بكر محمد بن قاسم... الذي نشأ بقرطبة وساد فيها ثم اضطره الحال إلى مغادرتها والتجول في مدن الأندلس، ثم في بلاد المشرق، فصور غربته وآلامه وأحزانه في أبياته بالقول:

ولاقيتُ من دهري وصرف خطوبه كما جرت النكباء في معطف الغصن

فلا تسألوني عن فراق جهنم ولكن سلوني عن دخولي إلى عدن

ولعل أقوى عوامل الغربة والحنين الحروب المستعرة بين المسلمين والأسبان، وقد اتقدت جذوتها، بعد سقوط طليطلة(478هـ) كبرى حواضر الأندلس.

الخاتمة:

يتضح مما سبق أن لشعر الحنين ونشأته عدة عوامل أهمها الاغتراب والبعد عن الوطن المكاني سواء أكان هذا البعد داخلياً في أنحاء الأندلس أو خارجياً بعيداً عن أراضيها وربوعها، أو بسبب رحلات الدراسة والعمل أو الشوق إلى بلاد المشرق مع بداية الفتح العربي للأندلس، فهو يبقى دافع نفسي ينم عن الأحاسيس والمشاعر الجياشة.

==========